

قلت: وإنما سطرنا لك يا أخي هذه الأمور الخاصة بالمكملين من أهل الله تعالى تشويقاً لك إلى مقاماتهم وفتحاً لباب التصديق لهم إذا سمعتمهم يذكرون مثل ذلك كما أشرنا إليه في خطبة هذا الكتاب وهذا الكلام لم أجده لغيره من الأولياء إلى وقتي هذا، فسبحان المنعم على من يشاء بما يشاء، والله أعلم.

٣١٠- ومنهم: الشيخ سيدي الإمام أحمد أبو العباس المرسي رحمته الله:

كان من أكابر العارفين وكان يقال: إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمته الله غيره وهو أجل من أخذ عنه الطريق رحمته الله ولم يضع رحمته الله شيئاً من الكتب.

وكان رحمته الله يقول: علوم هذه الطائفة علوم تحقيق وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق وكذلك شيخه أبو الحسن الشاذلي رحمته الله يقول: كتب أصحابي مات رحمته الله سنة ست وثمانين وستمائة.

ومن كلامه رحمته الله: جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الرحمة ونبينا رحمته الله هو عين الرحمة.

وكان رحمته الله يقول: الفقيه هو من انفقاً الحجاب عن عيني قلبه.

وكان رحمته الله يقول: رجال الليل هم الرجال وكلما اظلم الوقت قوى نور الولي ضرورة،

وكان رحمته الله يقول: في معنى حديث «من عرف نفسه عرف ربه»، معناه من عرف نفسه بذاتها وعجزها عرف الله بعزه وقدرته. قلت: وهذا أسلم الأجوبة والله أعلم.

وكان يقول: سمعت الشيخ أبا الحسن رحمته الله يقول: لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع.

وكان يقول: لو كشف عن حقيقة ولي العبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته. قلت: ومعنى لعبد: أي لأطيع قال تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^(١) أي لا تطيعوه فيما يأمركم به والله أعلم.

قال بعضهم: صليت خلف الشيخ أبي العباس فشهدت الأنوار ملأت بدنه وانبثت من وجوده حتى إنني لم أستطع النظر إليه.

(١) سورة يس: الآية ٦٠.

وكان ﷺ يقول: قال ملك من الملوك لبعض العارفين تمن علي فقال له ذلك العارف تقول ذلك لي ولي عبد أن قد ملكتهما وملكاك وقهرتهما وقهراك وهما الشهرة والحرص فأنت عبد عبد عبي فكيف أتمنى عليك وأنت عبد عبي.

وكان يقول: سمعت الشيخ أبا الحسن الشاذلي ﷺ يقول: من ثبتت ولايته من الله تعالى لا يكره الموت وهذا ميزان للمريدين ليزنوا به على نفوسهم إذا ادعوا ولاية الله فإن من شأن النفوس وجود الدعوى للمراتب العالية من غي أن يسلك السبيل الموصل إليها، قال تعالى: ﴿ فَتَمَنُّوا أَلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(١).

وكان ﷺ يقول: قد يكون الولي مشحوناً بالعلوم والعارف والحقائق لديه مشهورة حتى إذا أعطى العبارة كان كالإن من الله تعالى في الكلام ويجب أن تفهم أن من أذن له في التعبير جلت في مسامع الخلق إشاراته.

وكان يقول: كلام الماذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يؤذن له يخرج مكسوف الأنوار.

وكان يقول: من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه.

وكان ﷺ يقول: الطي طيان طي اصغر وطي أكبر فالطي الأصغر لعامة هذه الطائفة أن تطوي لهم الأرض من مشرقها إلى مغربها في نفس واحد والطي الأكبر طي أوصاف النفوس.

وكان يقول: دخل رجل على عثمان ﷺ وقد كان نظر إلى محاسن امرأة في الطريق فقال يدخل أحدكم وآثار الزنا بادية في وجهه.

وكان يقول: قد يطلع الله الولي على غيبه إذا ارتضاه بحكم التبع للرسول عليهم الصلاة والسلام ومن هنا نطقوا بالمغيبات وأصابوا الحق فيها.

وكان يقول: طريقنا هذه لا تنسب للمشاركة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ وهو أول الأقطاب.

وكان يقول: إنما يلزم الإنسان تعيين المشايخ الذين استند إليهم إذا كان طريقه

(١) سورة البقرة: الآية ٩٤.

لبس الخرقه لأنها رواية والرواية يتعين رجال سندها وطريقنا هذه هداية وقد يجذب الله تعالى العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ وقد يجمع شمله برسول الله ﷺ فيكون أخذًا عنه وكفى بهذا منة.

وكان يقول: كثيرًا قال الشيخ قال الشيخ كلما ينقل كلامًا فقال له إنسان لا نراك قط تسند لنفسك كلامًا فقال رضي الله عنه لو أردت عدد الأنفاس أن أقول قال الله قال الله لقلت لو أردت عدد الأنفاس أن أقول قال رسول الله ﷺ لقلت ولو شئت أن أقول على عدد الأنفاس قلت أنا لقت ولكن أقول قال الشيخ وأترك ذكر نفسي أدبًا.

وكان يقول: لم يزل الولي في كل عصر لا يلقى أكثر الناس إليه بالأحتمى إذا مات قالوا كان فلان.

وكان يقول: والله ما سار الأولياء والأبدال من حق إلى حق، إلا حتى يلتقوا مع واحد مثلنا وكان شيخه أو الحسن ؑ يقول: للناس عليكم بالشيخ أبي العباس فوالله إنه لياتيه البدوي ساقية فلا يمشي إلا وقد أوصله إلى الله تعالى ووالله ما من ولي لله كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه وعلى اسمه ونسبه وحسبه وحظه من الله تعالى عز وجل.

وكان ؑ يقول: سمعت الشيخ أبا الحسن ؑ يقول: لن تهلك طائفة فيها أربعة: إمام، وولي، وصديق، وشيخ. وقال أبو الحسن في ذلك المجلس فالإمام هو أبو العباس، وكان رضي الله عنه يقول: الولي إذا أراد عين.

وكان يقول: قال لي الشيخ أبو الحسن يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت.

وكان ؑ يقول: لي أربعون سنة ما صحبت عن رسول الله ﷺ ولو صحبت طرفة عين ما عدت نفسي من جملة المسلمين وكذلك كان يقول: في حق الجنة وفي حق الوقوف بعرفة كل سنة.

وكان ؑ يقول: والله ما كان اثنان من أصحاب هذا العلم في زمن واحد قط إلا واحدًا بعد واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ؑ.

وكان يقول: لا أعلم أحدًا اليوم يتكلم في هذا العلم غيري على وجه الأرض،

وقدم إليه بعضهم طعاماً فيه شبهة يمتحنه فامتنع الشيخ من أكله وقال: إنه كان للشيخ المحاسبي عرق في إصبعه يضرب إذا مد يده إلى شبهة فانا في يدي ستون عرقاً تضرب فاستغرب الرجل وتاب على يديه.

وكان يقول: من منذ دخلت على الشيخ أبي الحسن في القاهرة وهو يقرأ عليه كتاب المواقف للمنقري وقال لي تكلم يا بني بارك الله تعالى فيك أعطيت لساناً من ذلك الوقت.

وكان رحمه الله يقول: والله لو علمت علماء العراق والشام ما تحت هذه الشعرات وامسك على لحيته لأتوها ولو حبوا على وجوههم.

وكان يقول: والله ما نطالع كلام أهل الطريق إلا لنرى فضل الله تعالى علينا، وكان رضي الله عنه يقول: إذا كمل الرجل نطق بجميع اللغات وعرف جميع الألسن إلهاماً من الله عز وجل.

وكان يقول: من صحب المشايخ على صدق وهو عالم بالظاهر ازداد علمه ظهوراً.

وكان رحمه الله يقول: لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا في خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم فعلى مقدار ما يكون عندكم تكونون عنده.

وكان ساكناً في خط المقسم بالقاهرة فكان كل ليلة يأتي الإسكندرية فيسمع ميعاد الشيخ أبي الحسن ثم يرجع إلى القاهرة^(١) وكان يقرأ عليه كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي وكان هو وشيخه أبو الحسن يجلاونه ويعظمانه رحمه الله وكان رجل ينكر عليه ويقول: ليس إلا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون أموراً عظيمة ظاهر الشرع يابأها فحضروا يوماً مجلس الشيخ فأنبهر عقله ورجع عن إنكاره وقال هذا الرجل إنما يغرف من فيض بحر إلهي ومدد رباني ثم صار من أخص أصحابه.

وكان يقول: شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ولم يشاركونا فيما نحن فيه. وعمل رحمه الله عصيداً في يوم حار فقالوا له العصيد لا تعمل إلا في أيام الشتاء فقال هذه

(١) هنا الكلام بقوله كثير من أهل الطريق. ولا دليل له من كتاب أو سنة، وقد يؤدي إلى ضرر خلقي أو شرعي كمن تقيم في القاهرة وزوجها بانغرب وتحمل وتدعي أنه من أهل الخطوة وأنها يأتيها ثم يرجع.

عصيدة ولدنا ياقوت ولد اليوم ببلاد الحبشة فلم يزل ياقوت يباع من سيد حتى جاء إلى سيدي أبي العباس وحسبوا عمره فوجدوا عمره كما قال.

وكان ﷺ أكثر ما يتكلم في مجالسه في العقل الأكبر والاسم الأعظم وشعبه الأربع والأسماء والحروف ودوائر الأولياء ومقامات الموقنين والأملك المقربين عند العرش وعلوم الأسرار وأمداد الأذكار ويوم المقادير وشأن التدبير وعلم البدء وعلم المشيئة وشأن القبضة ورجال القبضة وعلم الأفراد وما سيكون يوم القيامة من أفعال الله تعالى مع عباده من حملة وإنعامه وجوده وانتقامه.

وكان ﷺ يقول: لولا ضعف العقول لأخبرت بما يكون من رحمة الله تعالى.

قال ابن عطاء الله ﷺ: وكان الشيخ أبو العباس رضي الله تعالى عنه لا يتنزل إلى علوم المعاملة إلا في قليل من الأيام لحاجة بعض الناس إلى ذلك قال ولذلك يقل اتباع من تكون علومه علوم السابقة فإن المشترين للمرجان قد يكثرون وقل أن يجتمع على شراء الياقوت اثنان ولم يزل اتباع أهل الحق قليلين كما قال الله تعالى في أهل الكهف ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾^(١) وأهل الله كهف لأمر الناس ولكن قليل من يعرفهم.

وكان سيدي أبو العباس ﷺ يقول: معرفة الولي أصعب من معرفة الله عز وجل فإن الله تعالى معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقاً مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب، وطلب نائب الإسكندرية أن يجتمع به وياخذ بيده فيكون شيخه فقال للقاصد لست ممن يلعب به ولم يجتمع به حتى مات وكان إذا نام في بلد في السفر وعرف كبيرها يريد الاجتماع به يسافر منها ليلاً قبل الفجر.

وكان يقول: لي علامة حب الدنيا خوف للذمة وحب الثناء فلو زهد لما خاف ولا أحب.

وكان ﷺ يقول: الورع من ورعه الله.

وكان يقول: من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لله.

وكان يقول: ورع المنقطعين نشأ من سوء الظن وغلبة الوهم وورع الأبدال والصديقين على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة.

(١) سورة الكهف: الآية ٢٢.

وكان يقول: والله ما رايت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق ولقد رايت يوماً كلباً ومعه شيء من الخبز فوضعت بين يديه فلم يلتفت له فقربته من فيه فلم يلتفت إليه فإذا على يقال أف لمن يكون الكلب أزهد منه.

وكان ﷺ يقول: للناس أسباب وسببنا نحن الإيمان والتقوى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

وكان يقول: ما سمعتموه مني ففهمتموه فاستودعوه الله يرده عليكم وقت الحاجة وما لم تفهموه فكلوه إلى الله يتولى الله ببابه واسعوا في جلاء مرآة قلوبكم يتضح لكم كل شيء.

وكان يقول: إذا ضاق الولي هلك من يؤذيه في الوقت إذا اتسعت معرفته احتمل أذى الثقلين ولم يحصل لأحد منهم ضرر بسببه.

وكان يقول: لحوم الأولياء مسمومة ولو لم يؤاخذوك فإياك ثم إياك.

وكان ﷺ به اثنا عشر باسوراً، وكان به الحصى، وبرد الكلى ومع ذلك فكان يجلس للناس ولا يتأوه في جلوسه، ولا يعلم جلسه بما هو فيه.

وكان يقول: لا تنظروا إلى حمرة وجهي فإنها من حمرة قلبي.

وكان ﷺ يقول: والله ما جلست بالناس حتى هددت بالسلب وقيل لي لنن لم تجلس لسلبتك ما وهبناك وكان لا يكتب الولاية في شيء.

بل كان يقول: للسائل أنا اطلب لك ذلك من الله تعالى وكان يكره للأشياخ إذا جاءهم مريد أن يقول: وا له قف ساعة ويقول: إن المرید يأتي إلى الشيخ بهمته المتوقدة فإذا قيل له قف ساعة طفق ما جاء به.

وكان يقول عن شيخه: اصحبوني ولا امنعكم أن تصحبوا غيري فإن وجدتم منهلاً أعذب من هذا المنهل فردوا وكان إذا رأى مريداً دخل في أوراد بنفسه وهواه أخرجها منها وكان إذا مدح بقصيدة يجيز المادح بإقباله عليه ويعطيه العطايا.

وكان يقول: لأصحابه إذا جاءنا رئيس قوم فأخبروني به أخرج إليه فإذا فارقه مشى معه خطوات ثم رجع ويقول: إن هؤلاء كلفوا أنفسهم إلى زيارتنا ونحن لم

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

نزرهم، وكان لا يأكل من طعام عبي له ولا من طعام اعلم به قبل أن يأتيه، وكان لا يدعو المحسنين حتى يخرج من مجلسه فيدعو له بظهر الغيب، وكان إذا أهدى إليه شيء يسير تلقاه ببشاشة وقبول وإذا أهدى له شيء كثير يتلقاه بعز وإظهار الغنى عنه وكان لا يثني على مرید بين إخوانه خشية الحسد، وكانت صلواته موجزة في تمام ويقول: هي صلاة الأبدال.

وكان ﷺ يقول: إذا قرأت القرآن فكانما أقرؤه على الله عز وجل، وكان إذا سمع أحداً ينطق باسم الله تعالى أو اسم النبي ﷺ يقرب فمه منه حتى يلتقط ذلك الاسم إجلالاً أن يبرز في الهواء وكان إذا سمع أحداً يقول: هذه ليلة القدر يقول: نحن بحمد الله أوقاتنا كلها ليلة قدر وكان يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله حتى إنه ربما يدخل عليه المطيع فلا يلتفت إليه لكونه يرى عبادته ويدخل عليه العاصي فيقوم له لأنه دخل بذل نفس وانكسار.

ومدحوا عنده شخصاً بالعلم وكان كثيرة الوسوسة في الوضوء والصلاة فقال الشيخ أين علمكم الذين تمدحون به هذا الرجل؟ العلم هو الذي ينطبع في القلب كالبياض في الأبيض والسواد في الأسود.

وقال لرجل من الحجاج كيف كان حجكم؟ فقال: كان كثير الرخاء كثير الماء سعر كذا وكذا فأعرض عنه الشيخ فقال أسألهم عن حجهم وما وجدوا فيه من الله تعالى من العلم والفوز والفتح فيجيبون برخاء الأسعار وكثرة المياه.

وكان يقول: ينبغي للمشايع تفقد حال المریدين ويجوز للمریدين إخبار الأستاذ بما في بواطنهم إذ الأستاذ كالطبيب وحال المرید كالعورة والعورة قد تبدو للطبيب لضرورة التداوي وفي الحقيقة كل مرید رأى له عورة مع شيخه فهو أجنبي عنه لم يتحد به.

وكان يقول: للشيخ أن يطالب المرید مادام قاصراً عن حقيقة دعواه فإذا بلغ مبلغ الرجال لم يطالبه على دعواه ببرهان لخروجه عن مقام التلبیس.

وكان يقول: لمن رأى أنه زهد في الدنيا لقد عظمت يا أخي الدنيا حين رايت لها وجوداً حتى زهدت فيها فقدرها أصغر من ذلك.

وكان ﷺ يفسر مشكلات القوم كثيراً فقال في كلام سهل بن عبد الله: لا

تكونوا من ابناء الدهر وكونوا من ابناء الأزل معناه لاحظوا ما سبق في علم الله ولا تتكلموا على علمكم ولا علم عملكم مدة عمركم^(١).

وقال في قول بشر الحافي عليه السلام إني لأشتهي الشواء منذ أربعين سنة ما صفا لي ثمنه اي لم يأذن لي الحق في أكله فلو أذن لي صفا لي ثمنه وإلا فمن أين يأكل في الأربعين سنة^(٢).

وقال في قول الجنيد رضي الله تعالى عنه أدركت سبعين عارفاً كلهم كانوا يعبدون الله تعالى على ظن ووهم حتى أخي أبا يزيد لو أدرك صبياً من صبياننا لأسلم على يديه معناه أنهم يقولون ما بعد للمقام الذي وصلناه مقام فهذا وهم وظن فإن كل مقام فوقه مقام إلى ما لا يتناهى وليس معناه الظن والوهم في معرفتهم بالله تعالى ومعنى لأسلم على يديه أي لانقاد له لأن الإسلام هو الانقياد^(٣).

وقال في قول أبي يزيد رضي الله تعالى عنه: خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله معناه أن أبا يزيد رضي الله تعالى عنه يشكو ضعفه وعجزه عن اللحوق بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خاضوا بحر التوحيد ووقفوا على الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض أي فلو كنت كاملاً لوقفت حيث^(٤) وقفوا.

قال ابن عطاء الله عليه السلام: وهذا الذي فسر به الشيخ كلام أبي يزيد عليه السلام هو اللائق بمقام أبي يزيد وقد كان يقول: جميع ما أخذ الأولياء بالنسبة لما أخذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كزق مليء عسلاً ثم رشحت منه رشاحة فما في باطن الزق للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتلك الرشاحة للأولياء عليهم السلام^(٥).

(١) هذه تفسيرات قيمة وحكمة لا تخرج إلا من عالم فقيه وولي عابد صفت روحه فصفا قلبه وفكره عليه السلام وعن جميع الأولياء والصالحين.

(٢) هذه تفسيرات قيمة وحكمة لا تخرج إلا من عالم فقيه وولي عابد صفت روحه فصفا قلبه وفكره عليه السلام . وعن جميع الأولياء والصالحين.

(٣) هذه تفسيرات قيمة وحكمة لا تخرج إلا من عالم فقيه وولي عابد صفت روحه فصفا قلبه وفكره عليه السلام وعن جميع الأولياء والصالحين.

(٤) هذه تفسيرات قيمة وحكمة لا تخرج إلا من عالم فقيه وولي عابد صفت روحه فصفا قلبه وفكره عليه السلام وعن جميع الأولياء والصالحين.

(٥) هذه تفسيرات قيمة وحكمة لا تخرج إلا من عالم فقيه وولي عابد صفت روحه فصفا قلبه وفكره عليه السلام وعن جميع الأولياء والصالحين.

والشهور عن أبي يزيد رضي الله عنه التعظيم لمراسم الشريعة والقيام بكمال الأدب فالحق تاووس أحوال الأكابر من أهل الاستقامة دون المبادرة إلى الإنكار.

وقال في حكاية الحارث بن أسد من أنه كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك عليه إصبعه كيف هذا وقد قدم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لبن فأكل منه ثم وجد كدورته في قلبه فقال من أين لكم هذا اللبن؟ فقال غلام له كنت تكهنت لقوم في الجاهلية فأعطوني ثمن كهانتك فتقياها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم يكن للصديق عرق يتحرك عليه إذا أكل طعاماً فيه شبهة مع كونه أفضل من الحارث بالإجماع.

الجواب: أن أبا بكر رضي الله عنه كان خليفة مشرعاً للعباد حتى يقتدي به من أكل طعاماً فيه شبهة ولم يعلم فيتكلف طرحه بعد أكله فيثيبه الله تعالى على ذلك، والحارث رضي الله عنه لم يكن إذ ذاك مشرعاً ولا قدوة وإنما يعمل بقصد نفع نفسه فقط ومعلوم أن القدوة من شأنه التنزل في المقام للتعليم.

وكان رضي الله عنه يقول: إنما بدأ القشيري في رسالته بالفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم لأنهما كانا قد تقدم لهما زمن قطيعة فلما أقبلا أقبل الله عليهما فبدأ بذكرهما بسطاً لرجاء المريدين الذين كانت تقدمت منهم الزلات والمخالفات وليعلم أن فضل الله ليس بمعلل بعمل.

ولو أنه بدأ بالجنيد وسهل بن عبد الله وعتبة الغلام وأمثالهم ممن نشأ في طريق الله لربما قال قائل من يدرك هؤلاء لم يسبق لهم زلات ولا مخالفات.

وقال في قول سمنون الحب:

وليس لسي في سواك حظ فكيفمنا شئت فاخترني

فابتلي بحصر البول فصالح وصار يقول: ادعوا لعمكم الكذاب لو كان سمنون قال عوض ما قال: فكيفما شئت فاخترني (فاعف عني) لكان أول من طلب الاختبار.

قلت: وإنما وقع الامتحان لسمنون لغفلته عن التبري عن الدعوى فلو قال مدني بالقوة ثم اخترني بما شئت لم يمتحن.

وكان شيخنا رضي الله عنه يقول: إذا قيل لك أتخاف الله تعالى؟ فقل: نعم، لكن بقدر ما خلقه في من الخوف وكذلك القول في أحب الله تعالى فمن سلك ذلك لا يقع له امتحان

لتعويله على الله تعالى لا على قوة نفسه هو .

وقد قالوا كل مدع ممتحن وهذا ميزانه والله أعلم. وقال في قول السري عليه السلام في حد التوبة أن لا تنسى نبيك، هو أولى من قول الجنيد عليه السلام وغيره التوبة أن تنسى ذنبك لأن كلام السري عليه السلام يدل على مبادئ اللقائات وكان السري مكلفاً الكلام على مقامات العباد لكماله والجنيد وغيره لم يكن إذ ذاك قدوة للناس فافهم.

وقال في قول بعضهم: لا يكون الصوفي صوفياً حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال ذنباً عشرين سنة. ليس معنى ذلك أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة، وإنما معناه عدم الإصرار، وكلما أذنب تاب واستغفر على الفور.

وكان يقول: إذا رفعتك إلى محل الحاضرة والشهود المسلوب عن العلل فذاك مقام التعريف والإيمان الحقيقي وميدان تنزل أسرار الأزل وإذا أنزلت إلى محل المجاهدة والمكابدة فذاك مقام التكليف المقيد بالعلل وهو الإسلام الحق وميدان تجلي حقائق الأبدية والمحقق لا يبالي بأي صفة يكون.

وقال في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾^(١) أي على معاينة تعاین كل صنف طريقهم فيحملهم عليها وعلى النيابة. وكان عليه السلام يقول: العارف لا دنيا له لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه.

وكان يقول: الزاهد غريب في الدنيا لأن الآخرة وطنه والعارف غريب في الآخرة فإنه عند الله تعالى ومعنى غربته في الدنيا قلة من يعينه على القيام بالحق وقلة من يشاكلة في القيام، وأما غربة العارف في الآخرة فإن سيره مع الله تعالى بلا أين وللدار على محل يكون فيه القلب لا على محل يكون فيه الجسم كما أن الزاهد كذلك موطن قلبه في الدنيا إنما هو الآخرة فهي معشش روحه ولولا ذلك لما صح له الزهد في الدنيا. وكان عليه السلام يقول: العامة إذا خوفوا خافوا وإذا روحوا راحوا والخاصة متى خوفوا راحوا ومتى روحوا خافوا.

وكان عليه السلام يقول: كان الإنسان بعد أن لم يكن وسيقنى بعد أن كان ومن كلا طرفيه عدم فهو عدم. قال ابن عطاء عليه السلام أي أن الكائنات لا تثبت له رتبة الوجود

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

لأن الوجود الحق إنما هو لله وله الأحدية.

وأما العالم فالوجود له من عدمه ومن كان كذلك فالعدم وصفه في نفسه.

وكان من طريقته وطريقته شيخه أبي الحسن الإعراض عن لبس الزي والمرقعات لأن هذا اللباس ينادي على صاحبه أنا الفقير فأعطوني شيئاً وينادي على سر الفقير بالإفشاء فمن لبس الزي فقد ادعى.

قلت: وليس مراد الشيخ أن يعيب على الفقراء لبس الزي وإنما مراده أنه لا يزم كل من كان له نصيب مما للقوم أن يلبس ملابس الفقراء فلا حرج على اللابس للخصن ولا على اللابس للناعم إذا كان من المحسنين والأعمال بالنيات.

وكان يقول: اختلف الناس في اشتقاق الصوفي وأحسن ما قيل فيه إنه منسوب لفعل الله تعالى به أي صافاه الله تعالى فصوفي فسموه صوفياً.

وكان يقول: في قول عيسى عليه السلام: يا بني إسرائيل بحق أقول لكم لا يلج ملكوت السموات والأرض من لم يولد مرتين أنا والله ممن ولد مرتين الإيلاد الأول إيلاد الطبيعة والإيلاد الثاني إيلاد الروح في سماء المعارف.

وكان يقول: لن يصل الولي إلى الله تعالى حتى ينقطع عن شهوة الوصول إلى الله تعالى أي انقطاع ادب لا انقطاع ملل لغلبة التفويض على قلبه.

وكان ﷺ يقول: إن الله تعالى جعل الأدمي ثلاثة أجزاء فلسانه جزء وجوارحه جزء وقلبه جزء وطلب من كل جزء وفاء، فوفاء القلب أن لا يشتغل بهم رزق ولا مكر ولا خديعة ولا حسد ووفاء اللسان أن لا يغتاب ولا يكذب ولا يتكلم فيما لا يعنيه ووفاء الجوارح أن لا يسارع بها قط إلى معصية ولا يؤدي بها أحداً من المسلمين فمن وقع من قلبه فهو منافق ومن وقع من لسانه فهو كافر ومن وقع من جوارحه فهو عاص.

وكان يقول: من اشترى من فحام فحماً فلما فرغ قال زدني فحمة فقلبه أسود من تلك الفحمة.

وكان ﷺ يقول: لا يدخل على الله تعالى إلا من بابين من باب الغنى الأكبر وهو الموت الطبيعي ومن باب الغنى الذي تعينه هذه الطائفة.

وكان يقول: الكائنات على أربعة اجسام جسم كثيف وهو بمجرد جماد

وجسم لطيف وهو بمجرد جان وروح شفاف وهو بمجرد ملك وسره غريب وهو المعنى المسجود له الآدمي صورته بظاهاها جماد وبوجود نفسه تخفيها وتشكلها جان وبوجود روحه ملك وبإعطائه السر الغريب استحق أن يكون خليفة.

وكان يقول: ليس العجب ممن تاه في نصف ميل أربعين سنة إنما العجب ممن تاه في مقدار شبر الستين والسبعين والثمانين سنة وهي البطن.

وكان يقول: للأولياء الإشراف على مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما لهم الإحاطة بمقاماتهم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يحيطون بمقامات الأولياء.

وكان يقول: جميع أسماء الله تعالى جاءت للتخلق إلا الاسم (الله) فإنه للتعلق فقط إذ مضمونه الإلهية والإلهية لا يتخلق بها أصلاً.

وكان ﷺ يقول: السماء عندنا كالسقف والأرض كالبيت وليس للرجل عندنا من يحصره هذا البيت.

وكان يقول: نحن في الدنيا بأبداننا مع وجود ارواحنا وسنكون في الآخرة مع وجود أبداننا.

قلت: وفي هذا رد لمن قال يكون الناس في الجنة بأرواحهم لا بأجسامهم وعليه جماعة من أهل الكشف الناقص وسبب غلطهم شهودهم أهل الجنة يتحولون في أي صورة شاءوا وهذا شأن الأرواح لا الأجسام وغاب عنهم أن الأجسام هناك منطوية في الأرواح لا معدومة كما أن الأرواح في هذه الدار منطوية في الأجسام والله أعلم.

وكان ﷺ يقول: الفرق بين معصية المؤمن ومعصية الفاجر من ثلاثة أوجه للمؤمن لا يعزم عليها قبل فعلها ولا يفرح بها وقت الفعل ولا يصر عليها والفاجر ليس كذلك وكان يبحث أصحابه على ذكر اسم الله. وهو يقول: هذا الاسم سلطان الأسماء وله بساط وثمره فيساطه العلم وثمرته النور وإن حصل النور وقع الكشف والعيان.

وكان يقول: ليست الفتوة بالماء والملح وإنما الفتوة الإيمان والهداية.

وكان يقول: ما سمي إبراهيم الخليل فتى إلا لكونه كسر الأصنام الحسية التي وجدها وانت يا ولدي لك أصنام خمسة معنوية فإن كسرتها فأنت فتى: النفس، والهوى، والشيطان، والشهوة، والدنيا.

واقفهم ههنا لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

وذلك يقول: الكامل من يملك حاله وله سوحة في العلم.

كما قيل لبعضهم ما لك لا تتحرك في السماع أمس فقال إنه كان في الجمع كبير فاحتشمت منه ولو اني خلوت وحدي لأرسلت وحدي وتواجدت فانظر كيف كان زمام حاله معه يمسكه إذا شاء ويطلقه إذا شاء وإذا اتسع القلب بمعرفة الله تعالى غرقت فيه الواردات ولهذا جهلت أحوال الأكابر أرباب المقامات واشتهر أهل الأحوال لظهور آثار المواهب عليهم لضعفهم عن كتمها ولضيقهم عن وسعها وربما كان صاحب الحال احظى عند الله وعند الخلق بإقبالهم عليه من صاحب المقام مع أن بينه وبينه كما بين السماء والأرض.

ولذلك قال ابن عطاء الله: كلما تمكن الرجل في العلوم الإلهية والمعارضة الربانية استغرب في هذا العالم فيقل من يعرفه ويفقد من يحيط به فيصفه.

وكان يقول: كل سوء ادب يثمر لك أدبًا فهو ادب.

وكان رحمه الله يقول: كان الجنيد رحمه الله قطبًا في العلم، وكان سهل التستري رحمه الله قطبًا في المقام، وكان أبو يزيد رحمه الله قطبًا في الحال.

وكان رحمه الله يقول: اللطف حجاب من اللطيف إذا وقفت معه العبد والحق لا يجب أن يأنس عبده إلى غيره وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام نعم البعد (بلخ) لولا أنه يسكن إلى نسيم الأسحار ولو أنه عرفني ما سكن إلى غيري.

وكان يقول: في قول أبي عبد الرحمن السلمي انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة، معناه أنه لا حيرة إلا عند المؤمنين وأما المحققون فلا حيرة عندهم فيما فيه الحيرة عند المؤمنين.

وكان يقول: قليل العمل مع شهود المنة من الله تعالى خير من كثير العمل مع شهود التقصير من النفس.

وكان يقول: عن شيخه خرج الزهاد والعباد من هذه الدار وقلوبهم مخلقة عن الله عز وجل.

وكان يقول: هو عن شيخه من لم يتغلغل في هذه العلوم مات مصرًا على الكبائر وهو لا يعلم.

وكان يقول: عن شيخه كل شيء نهانا الله عنه فهو في معنى شجرة آدم عليه السلام لكننا افرقنا فإن آدم عليه السلام لما اكل من الشجرة نزل إلى أرض الخلافة وانت إذا اكلت من شجرة النهي نزلت إلى أرض القطيعة فإياك ثم إياك.

وكان يقول: كان شخص من الأولياء يتكلم على الناس بأرض المغرب وهو بادن فدخل عليه شخص مكشوف الرأس كبيرها فقال هذا يزهد في الدنيا وهو كذاب فكوشف به الشيخ فقال من فوق للنبر يا ابا رويس ما سمعني إلا حبه.

وكان ﷺ يقول: لأصحابه إذا اكلتم طعام إنسان فاشربوا عنده ينال كمال الأجر فإن رسول الله ﷺ يقول: من سقى مؤمناً شربة ماء مع وجود الماء كمن اعتق سبعين من ولد إسماعيل عليه السلام.

وكان يقول: لا ينبغي للفقير أن يأخذ من أحد شيئاً يقصد نفع نفسه إنما يأخذ ليثيب من يعطيه ويعوضه عليه فمن تطهرت نفسه وتقدست فليقبل وإلا فلا وقال ﷺ لبعض أصحابه: لم انقطع عن مجلسنا فقال يا سيدي قد استغنيت بك فقال الشيخ ما استغنى أحد بأحد ما استغنى أبو بكر ﷺ ومع ذلك لم ينقطع عن رسول الله ﷺ يوماً واحداً.

وكان يقول: لما خلق الله تعالى الأرض اضطربت فأرسلها بالجبال وكذلك النفس لما خلقها الله تعالى اضطربت فأرسلها بجبال العقل.

وكان يقول: الأكوان كلها عبيد مسخرة وأنت عبد حضرته.

وكان يقول: لأصحابه إذا وصلتكم إلى مكة فليكن همكم رب البيت لا البيت ولا تكونوا ممن يعبد الأصنام والأوثان.

وكان يقول: من عرف الله لم يسكن إليه لأن في السكون إلى الله ضرباً من الأمن ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١).

وكان يقول: الولي في حال فنائه لا بد أن تبقى معه لطيفة علمية عليها يترتب التكليف وذلك كما يكون الإنسان في البيت للظلم فهو عالم بوجوده وإن كان غير مشاهد له.

وكان ﷺ يقول: والله ما جلست حتى جعلت جميع الكرامات تحت سجادتي.

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٩.

قال ابن عطاء الله رحمه الله: قرأت على الشيخ أبي العباس كتاب الرعاية للمحاسبي فقال جميع ما في هذا الكتاب يغني عنه كلمتان اعبد الله بشرط العلم ولا ترض عن نفسك أبداً ثم لم يأذن لي في قراءته بعد.

وكان يقول: من اشتاق إلى لقاء ظالم فهو ظالم.

وكان يقول: القبض الذي لا يعرف سببه لا يكون إلا لأهل التخصص.

وكان يقول: لو علم الشيطان أن ثم طريقاً توصل إلى الله تعالى أفضل من الشكر لوقف عليها إلا تراه كيف قال: ﴿ ثُمَّ لَا تَيَسَّرُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ ^(١) ولم يقل صابرين ولا خائفين ولا راجعين.

وكان يقول: أبو بكر وعمر خلفاء الرسالة وعثمان وعلي خلفاء النبوة.

وكان يقول: العامة إن راوا إنساناً ينسب إلى الولاية جاء من البراري والقفار أقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم وكم من بدل وولي بين أظهرهم فلا يلقون إليه بالأ مع أنه هو الذي يحمل انقالتهم ويدافع الأغيار عنهم فمثلهم في ذلك كمثل حمار الوحش يدخل به البلد فيطوف به الناس متعجبين لتخاطيط جلده وحسن صورته والحمر التي بين أظهرهم تحمل انقالتهم إلى موضع اغراضهم وتنقل ترابهم وآلات بنائهم ولا يلتفتون إليها.

وكان رحمه الله يقول: الهالك بهذه الطائفة أكثر من الناجي بها رضي الله تعالى عنه.

٣١١- ومنهم سيدي ياقوت العشري رحمه الله:

كان إماماً في المعارف عابداً زاهداً وهو من أجل من أخذ عن الشيخ أبي العباس المرسي رحمه الله وأخبر به سيدي أبو العباس رحمه الله يوم ولد ببلاد الحبشة وصنع له عصيدة أيام الصيف بالإسكندرية ف قيل له إن العصيدة لا تكون إلا في أيام الشتاء فقال هذه عصيدة أخيكم ياقوت ولد ببلاد الحبشة وسوف يأتيكم فكان الأمر كما قال وهو الذي شفع في الشيخ شمس الدين بن اللبان لما أنكر على سيدي أحمد البدوي رحمه الله وسلب علمه وحاله بعد أن توسل بجميع الأولياء ولم يقبل سيدي أحمد شفاعتهم فيه فسار

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧.